أجوبة فقهية ضمن سلسلة ليتفقهوا في الدين

العُمْدَة

في

أَعْمَالِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ

وَمعهُ:

- نصيحة بين يدي الحاجّ والمعتمر
- فتاوى في الحجّ والعُمرة

لفضيلة الشيخ الدكتور

أبي عبد المعزّ محمّد علي فركوس

أستاذ بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر

العدد

٩

بسم الله الرحمن الرحيم

العُمْدَة

في

أَعْمَالِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الموقع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

يُحظر طبعُ أو تصويرُ أو ترجمةُ أو إعادةُ تنضيدِ الكتاب كاملاً أو مجزّأً أو تسجيلُه على أشرطة كاسيت أو إدخالُه على الكمبيوتر أو برمجتُه على أسطوانات ضوئية إلاّ بموافقةٍ خطّية من المؤلّف

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الموقع للنشر والتوزيع - الجزائر العاصمة

البريد الإلكتروني: *edition@ferkous.com*

الموقع الرسمي للشيخ فركوس على الإنترنت: *www.ferkous.com*

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا
نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ
لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾

[سورة التوبة]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »

[متفق عليه: أخرجه البخاري: (١/ ١٦٤)، ومسلم: (٧/ ١٢٨)،
من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما]

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب].

أمَّا بعد: فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

فالحجُّ هو الركن الخامس من أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهو فريضة الله على كلِّ مسلم استطاع إليه سبيلًا، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ:

شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»[1]، وهو فرض عين في العمر مرةً على المستطيع، وهو فرض كفاية على المسلمين كلّ عام، ومن زاد عن حَجَّة الإسلام فهو تطوُّع لقوله ﷺ: «**الحَجُّ مَرَّةٌ فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»[2]، غير أنَّه يستحبُّ للموسر الصحيح أن لا يترك الحجَّ خمس سنين، لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجل: «**إِنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي المَعِيشَةِ يَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لَا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ**»[3].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ٤٩) في «الإيمان»، باب دعاؤكم إيمانكم، ومسلم (١/ ١٧٧) في «الإيمان»، باب بيان أركان الإسلام. من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
وقد ورد في رواية البخاري والنسائي تقديم الحجّ على الصوم، وعليه بنى البخاري ترتيبه، لكن وقع في مسلم (١/ ١٤٦) من رواية سعد بن عبيدة عن ابن عمر بتقديم الصوم على الحج وفيه: «فقال رجل: الحجّ وصيام رمضان قال: لا، صيام رمضان والحجّ، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ». قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٥٠): «ففي هذا إشعار بأنَّ رواية حنظلة التي في البخاري مروية بالمعنى».

(٢) أخرجه أبو داود كتاب «المناسك» باب فرض الحج (١٧٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٢٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. والحديث صحَّحه الألباني في «إرواء الغليل» (٤/ ١٤٩).

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» كتاب «الحج»، باب فضل الحج والعمرة (٣/ ٣٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٢) والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٠٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، والحديث صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٢٢١).

ومن حكمة الله تعالى في تشريع الحجِّ على النَّاس أن منافعَه العظيمةَ ترجع للعباد ليصبحوا أهلًا لكرامة الله تعالى في الدُّنيا والآخرة، ولا ترجع إلى الله تعالى، لأنَّه ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

ومن منافعِ الحجِّ وفضائلِه الثابتة بالسنة الصحيحة:

♦ تطهير النَّفس من آثار الذنوب والمعاصي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[1].

♦ وهو سبب العِتق من النَّار وجزاؤُه الجنَّة، فعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ»[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب «الحج»، باب فضل الحج المبرور (١/ ٣٦٨)، ومسلم كتاب «الحج»، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١/ ٦١٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب «الحج»، باب فضل الحجِّ والعمرة ويوم عرفة (١/ ٦١٣)، والنسائي في كتاب «الحج»، باب ما ذكر في يوم عرفة (٣٠٠٣)، وابن ماجه في كتاب «المناسك»، باب الدعاء بعرفة (٣٠١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب «الحج»، باب وجوب العمرة وفضلها (١/ ٤٢٥)، ومسلم في كتاب «الحج»، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (١/ ٦١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

♦ وأنَّه أفضلُ الأعمال وأفضلُ جهاد النِّساء، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ سئل: أيُّ الأعمال أفضلُ ؟ فقال: «**إِيمَانٌ بِالله وَرَسُولِهِ**»، قيل: ثمَّ ماذا ؟ قال: «**جِهَادٌ فِي سَبِيلِ الله**»، قيل: ثمَّ ماذا ؟ قال: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»(١)، وعن عائشة ﷺ قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد ؟ قال: «**لَا، وَلَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ**»(٢).

فمن منطلق فضلِ الحجِّ العظيم وثوابِه الجزيل، وبالرَّغم من كثرة المؤلفات لا سيما الرَّسائل والمطويات المعنية بهذا الباب فقد رأيت من الأجدر أن أُسْهِمَ ببيان أعمال الحجِّ والعمرة وما يتعلَّق بهما في هذا الجانب من الموروث الفقهي الذي خلَّفه علماؤنا ودَوَّنُوه في كتبهم، مدلِّلًا لها بالنُّصوص الشرعية من كتاب الله عزَّ وجلَّ والصحيح من سُنَّة رسول الله ﷺ، ومعزِّزًا لها بإجماع المسلمين في المواطن المتفق عليها، مع مرعاة أقوال أهل العلم في معظم المواطن بيانًا لموضع الترجيح وابتعادًا عن التقليد.

وقد وضعت بين يدي الحاجِّ والمعتمِر نصيحةً توجيهيةً بتصحيح النِّية لأداء هذه العبادة العظيمة، والتزام آداب السفر ذهابًا وإيابًا، وفي أثناء أدائه الحجّ أو العمرة من تَحَلِّيه بحُسْن الخلق والرِّفق، واجتناب المخاصمة ومضايقة النَّاس في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب «الحج»، باب فضل الحج المبرور (١/ ٣٦٨)، ومسلم في كتاب «الإيمان»، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١/ ٥٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب «الحج»، باب فضل الحج المبرور (١/ ٣٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبري» (٩/ ٢١). من حديث عائشة ﷺ.

الطرق وغيرها، وصون اللِّسان عن كلِّ ما لا يرضاه الله ورسوله، ثمَّ تناولت أعمالَ العمرة أوَّلًا حيث تعرضت فيها إلى:

♦ في أعمال بين يدي الإحرام وبعده.

♦ في أعمال طواف العمرة [طواف القدوم].

♦ في أعمال السعي بين الصفا والمروة.

♦ في أعمال الحلق والتقصير في العمرة.

♦ في طواف الوداع.

ثمَّ أعقبتها بأعمال الحجِّ ثانيًا، وحاولت أن أُرتِّبَ عملَ كلِّ يومٍ على حِدة على النسق التالي:

❋ في أعمال اليوم الثامن من ذي الحجة [يوم التروية].

❋ في أعمال اليوم التاسع من ذي الحجة [يوم عرفة].

♦ فرع: في أعمال الحج بعرفة.

♦ فرع: في أعمال الحج بمزدلفة.

❋ في أعمال اليوم العاشر من ذي الحجة [يوم عيد النحر].

♦ فرع: في الرمي.

♦ فرع: في الذبح والنحر.

♦ فرع: في الحلق والتقصير.

♦ فرع: في طواف الإفاضة.

❋ في أعمال اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر [أيام التشريق].

* في أعمال الحاجّ بعد أيام التشريق.

ثمَّ ألحقت به جملةً من فتاوى الحجِّ والعمرة المبثوثة في موقعي على الأنترنت، وقد رأيت من المفيد جِدًّا أن أذيِّلَه بقائمة بدعِ الحجِّ والعمرة والزِّيارة مُستلَّةً من «**مناسك الحجِّ والعمرة**» للشيخ المحدِّث محمَّد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وذلك لإتمام فائدة الكتاب وتحصيل المنفعة المرجوة منه.

وأخيرًا، أسأل اللهَ الكريمَ أن يُمِدَّنا بالعلم النَّافع، ويوفِّقَنا للعمل الصَّالح، وأن يُرِيَنا الحقَّ حقًّا ويرزقَنا اتباعه، ويريَنا الباطلَ باطلًا ويرزقَنا اجتنابه، وأن يجعلَ عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعَ به إخواني المسلمين في الدنيا والآخرة، إنَّه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، وسَلَّم تسليمًا.

الجزائر في: ٢٤ رمضان ١٤٣٠هـ

الموافق لـ: ١٤ سبتمبر ٢٠٠٩م

نصيحة توجيهية بين يدي الحاج والمعتمر

إذا توفَّرت الاستطاعة في الحجِّ والعمرة، وعَزَم الحاجُّ أو المعتمِرُ على أداء هذه العبادة الجليلة فإنَّه يحسُن في هذا المقام أن يُقدَّم بين يديه نصائح توجيهية تسبق رحلته العظيمة إلى بلد الله الحرام، استجابةً لأمره تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وتلبية للنداء الواجب في قوله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ الحَجَ فَحُجُّوا**»(١).

وقد ارتأيت أن أُقَسِّم نصائحي إلى توجيهين مُرتَّبين بحَسَب الأولوية إلى:

- ما يتعلَّق بنفس الحاجِّ أو المعتمر قبل الشروع في أعمالهما.
- وأخرى تتعلَّق به قبل سفره وفي أثنائه وعند قُفوله منه، ليسهل تحصيلها والانتفاع بها.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب «الحج»، باب فرض الحجّ مرة واحدة في العمر (١/ ٦٠٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» باب وجوب الحجّ مرَّة واحدة (٤/ ٣٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهي تظهر على الشكل التالي:

توجيهات قبل الشروع في أعمال الحج والعمرة

وتتمثَّل هذه التوجيهات في النقاط التالية:

❊ **أولا**: تجريد النَّفس وتصفيتها من الشرك والحذر منه وتجنُّب أسبابه، إذ المعلوم أنه قد سرى في العديد من الطغام والعوام الغلوّ في الصالحين حتى أضفوا عليهم خصائص الرُّبوبية، وأنزلوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إلى ما لا يجوز أن يكون إلَّا لله: مِن طلب المدد منهم عند حصول المكاره، والاستغاثة بهم في الشدائد، والتبرُّك بتربتهم والطواف بقبورهم، وذبح القرابين لأضرحتهم، ودعائهم والتوسُّل بهم وسؤالهم الشفاعة من دون الله، حتى أضحت قبور الصالحين أوثانًا تُعَلَّق عليها القناديل والسُّرَج، وتُسدَل عليها الستور واتخذت أعيادًا ومناسك ـ والله المستعان ـ.

ولا يخفى أنَّ الشرك أكبر الكبائر وأعظم الظلم، وهو مبطل للأعمال ومفسد للعبادات لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، لذلك ينبغي الاجتهاد في تصفية النَّفس بالتخلُّص من أدران الشرك وتطهير المعتقد منه، والوقاية من الوقوع فيه، ووجوب الحذر منه، وسدّ كلِّ طريق يؤدي إليه، لا سيما لمن عزم على الحجِّ أو العمرة فإنه

إن لم يطهِّر نفسَه من الشركيات المقترنة بمعتقده وأعماله، فيخشى عليه ـ فضلًا عن ارتكابه لأعظم الذنوب ـ أن يضيِّع جهدَه ومالَه سُدًى بلا أجرٍ ولا ثوابٍ، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان].

* **ثانيا**: المبادرة بالتوبة النصوح، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، وعدم العودة إليها أبدًا، والاستكثار من الحسنات، فباب التوبة مفتوح(١)، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ

---

(١) تنبيه: باب التوبة منقطع في ثلاثة أحوال:

♦ **الحالة الأولى**: عند نزول العذاب لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [غافر : ٨٤ ـ ٨٥].

♦ **والحالة الثانية**: إذا بلغت الروح الحلقوم لقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**». [أخرجه الترمذي في «الدعوات» (٥/ ٥٤٧)، رقم: (٣٥٣٧)، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه ابن ماجة في «الزهد» (٢/ ١٤٢٠)، رقم: (٤٢٥٣)، باب ذكر العقوبة من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، والحديث حسَّنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤)، وفي «صحيح سنن ابن ماجة» (٣/ ٣٨٣)].

♦ **والحالة الثالثة**: إذا طلعت الشَّمس من مغربها لقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ولقوله ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**». [أخرجه أبو داود في «الجهاد» (٣/ ٧)، رقم: (٢٤٧٩)، باب في الهجرة هل انقطعت ؟ من حديث معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، والحديث صحَّحه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٩٠)].

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر]، ولقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور]، فعلَّق الفلاحَ بالتوبة تعليقَ المسبب بسببه، ثمَّ أتى بأداة «لعلَّ» المشعرة بالترجي، فكان المعنى: أنَّه لا يرجو الفلاحَ إلَّا التائبون.

والتوبة التي تعالج الذنب وتمحو أثره هي التوبة النصوح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]، والحسنات تكفِّر كثيرًا من السيِّئات، لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود]، ولقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان]، ويؤكِّده قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ [طه].

وقطعُ الصلة بالماضي الآثم وهجرُ أماكن المعصية وتركُ قرناء السوء من تقوى الله التي هي أساس القَبول، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة]، لذلك لا ينال الحاجُّ أو المعتمرُ نصيبَه من المثوبة والأجر عند الله تعالى إلَّا بالامتثال للطاعة والإقلاع عن المعصية، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة : ١٩٧]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

تنبيه: ومن أخطر المعاصي التي يجب أن يُبادر بالتوبة منها: البدعةُ في الدِّين فهي ضلالةٌ وبريدٌ إلى الشرك لقوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢)، ولقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٣)، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٤)، قال البربهاري رحمه الله: «واحذر من صغار المحدثات، فإنَّ صغار البدع تعود حتى تصير كبارًا، وكذلك كلّ بدعة أحدثت في هذه الأُمَّة كان أَوَّلها صغيرًا يشبه الحقَّ، فاغترَّ بذلك من دخل فيها، ثمَّ لم يستطع المخرج منها، فعَظُمت وصارت دِينًا

---

(١) سبق تخريجه، انظر: (ص ٩).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب «السنة»، باب في لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي كتاب «العلم»، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٢٦٧٦)، وابن ماجه باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (٤٢)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. والحديث صحَّحه ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٢)، وابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١/ ١٣٦)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٣٥)، وشعيب الأرناؤوط في تحقيقه لـ «مسند أحمد» (٤/ ١٢٦)، وحسَّنه الوادعي في «الصحيح المسند» (٩٣٨).

(٣) أخرجه البخاري كتاب «الصلح»، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٥/ ٣٠١)، ومسلم كتاب «الأقضية» (١٢/ ١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم كتاب «الأقضية» (١٢/ ١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يُدان به»(١).

والبدعةُ درجاتٌ متفاوتة، وأسبابها ترجع إلى: الجهل بالدين، واتباع الهوى، والتعصُّب للآراء والأشخاص، والتشبُّه بالكفار وتقليدهم. ووجه كون البدعة أخطر من المعصية أنَّ صاحب المعصية يعلم بتحريم اعتدائه على حدود الله وحرماته، ويُرجى له الرجوع والقربة والاستغفار، ومنزلته أخفُّ وأهون من صاحب البدعة الذي يتعدَّى حدودَ الله بالتشريع والافتراء على الله سبحانه، ويحسب أنه من المهتدين، فيُخشى عليه البقاء على بدعته والاستمرار على الباطل والضلال ظنًّا منه أنه على حقٍّ وصواب، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]. ومن الفوارق ـ أيضًا ـ أنَّ صاحب البدعة محتجز التوبة حتى يتركَها، لقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**»(٢).

* **ثالثًا**: إخلاص النية لله تعالى في العبادة المتقرب بها، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر]، لذلك لا يجوز أن يقصد بحَجِّه أو عُمرته رياءً أو سمعةً أو مفاخرةً أو مباهاةً أو أن يطمع غرضًا دنيويًّا، فهذه كلُّها من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد المُحبط للعمل،

---

(١) «شرح السنة» للبربهاري (٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم: (٤٣٦٠)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» وحسَّنه (١/ ٨٦)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٥٤).

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وقد توعَّد اللهُ المرائين بالويل في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قَالَ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1]، وفي الحديث: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ»[2].

وضمن هذا المعنى يقول ابن رجب رحمه الله: «اعلم أنَّ العمل لغير الله أقسام:

فتارة يكون رياءً محضًا بحيث لا يُراد به سوى مرئيات المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون]، وكذلك وصف الله تعالى الكفارَ بالرياء المحض في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم كتاب «الزهد والرقائق»، باب من أشرك في عمله غير الله (٢/ ١٣٦١)، رقم: (٢٩٨٥)، وابن ماجه كتاب «الزهد»، باب الرياء والسمعة، رقم: (٤٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب «الرقاق»، باب الرياء والسمعة (٣/ ٣٢٨)، ومسلم كتاب «الزهد والرقائق»، باب من أشرك في عمله غير الله (٢/ ١٣٦١)، رقم: (٢٩٨٧)، من حديث جندب العلقي رضي الله عنه.

خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتي يتعدى نفعُها، فإنَّ الإخلاص فيها عزيزٌ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابطٌ وأن صاحبَه يستحق المقتَ من الله والعقوبةَ.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدلُّ على بطلانه أيضًا وحبوطه، ... وأمَّا إن كان أصل العمل لله ثمَّ طرأت عليه نية الرياء فلا يضرُّه، فإن كان خاطرًا ودفعه فلا يضرُّه بغير خلاف، فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضرُّه ذلك ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته وهو مروي عن الحسن البصري وغيره»[1] [بتصرف].

لذلك وجب أن تكون كلُّ الأعمال التي يبتغى بها وجه الله مصروفة لله تعالى على وجه الإخلاص، فالإخلاص شرطٌ لصِحَّة العمل وقَبولِه بلا خلاف[2]، قال الحطاب المالكي رحمه الله: «فالمخلص في عبادته هو الذي يخلِّصها من شوائب الشرك والرياء، وذلك لا يتأتى له إلَّا بأن يكون الباعث له على عملها قصد التقرُّب إلى

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١٣ـ١٦).

(٢) انظر: «الدين الخالص» لصديق حسن خان (٢/ ٣٨٥).